

## ٧- الاستغاثة بغير الله أو دعاء غير الله

الرجاء قراءة موضوع الذبح لغير الله أو لآ قبل قراءة الاستغاثة بغير الله لارتباط الموضوعات ببعضها).

الاستغاثة معناها (طلب الغوث) لأن كثيراً من الكلمات التي اولها حرفي السين والتاء- كما أسلفنا- تدل على الطلب مثل: استطعم معناها (طلب الطعام) وهكذا.

واستغاث معناها (طلب الغوث) والغوث يُفسّر بأنه (النصرة والإغاثة والمدد)، فالاستغاثة هي: (طلب النصرة والإغاثة وإزالة الشدة والتماس الخيرات في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله).

س: والسؤال يتكرر: هل الاستغاثة عبادة أم لا ؟

جـ: فلو ثبت أن الاستغاثة عبادة فهذا يعني أنها لا تُطلب إلا من الله وحده ولا يجوز طلبها من غير الله وإذا ثبت أنها ليست عبادة فهذا يعني أنه يجوز طلبها من غير الله، وحتى نعرف إذا كانت الاستغاثة عبادة أم لا لابد أن نعود مرة أخرى لتعريف العبادة وهي - كما أسلفنا- اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فهل يجب الله أن يُستغاث

به ويرضى ذلك؟ فإذا ثبت بالدليل أن الله يحب أن يُستغاث به ويرضى ذلك فهذا يعني أنها عبادة لا تُطلب إلا من الله وطلبها من غيره شرك، وأما إذا لم يثبت بالدليل أن الله يحبها ويرضاها فهذا يعني أنها ليست عبادة.

ونحن نجد أن الله عَزَّوَجَلَّ يصف حال المسلمين في يوم معركة بدر فيقول تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فكان جزاؤهم عندما استغاثوا ربهم وطلبوا منه النصرة أن الله عَزَّوَجَلَّ قد استجاب لهم وأمدهم بالملائكة مردفين يعني متتابعين، فإذا كان الله عَزَّوَجَلَّ قد استجاب لهم وأمدهم بالملائكة عندما استغاثوا به فإن هذا يعني أن الله أحب أن يستغاث به وَرَضِيَ ذلك لأنه استجاب لهم وهذا يعني أن الاستغاثة أصبحت عبادة لا تصرف إلا لله وطلبها من غيره شرك عيادًا بالله، بل إن الاستغاثة نوع من الدعاء والدعاء عبادة لأن النبي ﷺ يقول في الحديث الشريف: «الدعاء هو العبادة» وفي حديث آخر «الدعاء مخ العبادة»، كما أن الله عَزَّوَجَلَّ يحب أن ندعوه ويرضى ذلك لأنه يأمرنا بذلك في القرآن حيث

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [عَنْكَ: ٦٠]، فهذا دليل أيضاً على أن الدعاء عبادة لا تصرف إلا لله وطلبها من غير الله شرك يخلد صاحبه في النار عياناً بالله بل والأدلة على ذلك كثيرة أيضاً فالله عزَّجَلَّ يقول: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يُونُسَ: ١٠٦] ويقول تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِذَا يُرِيدُكَ بِيُخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [يُونُسَ: ١٠٧] ويقول تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الْبَقَرَةَ: ١٨٦]، ويقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴾ [وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الْإِنْفِاقَ: ٥-٦].

(من دون الله): يعني مع الله أو بدون الله استقلالاً، ويقول

تعالى أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشركم ولا ينبئك مثل خبير ﴿ [فَاطِلَة: ١٣-١٤]، (قطمير): يعني تلك اللفافة الرقيقة التي تفصل بين التمرة والنواة التي بداخلها، فهو لاء الذين تدعونهم من دون الله لا يملكون حتى إيجاد أو خلق تلك اللفافة.

س: اذكر أمثلة من المجتمع على الاستغاثة بغير الله أو دعاء  
غير الله؟

جـ: وذلك كالذين يستغيثون بالأموال من الأولياء  
والصالحين أو الأنبياء فيطلبون المدد من النبي ﷺ أو من الأولياء  
كأن يطلبون المدد من الحسين أو من السيد البدوي أو من السيدة  
زينب أو من غير ذلك وما هؤلاء إلا عباد أمثالهم لا يملكون  
لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً فكيف بغيرهم، بل إنهم أموال والميت  
بحاجة إلى دعاء الحي له لأنه انقطع عمله كما جاء في الحديث: «إذا  
مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم

ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»، والله تعالى يقول: ﴿ أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ (١١١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿ [الإعراف: ١٩١-١٩٢]. وهناك من يطلب من الأموات من الأنبياء أو الأولياء شفاء المريض أو أن يرزقهم بولد أو غير ذلك من الحاجات عيادًا بالله فيكونوا قد وقعوا في الشرك الذي يخرجهم من ملة الإسلام ويخلدهم في النار عيادًا بالله لأنهم دعوا غير الله، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١١٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿ (١١٥) إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (١١٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿ [الإعراف: ١٩٤-١٩٧]، فالشخص الذي يطلب المدد والغوث والنصرة من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله كأن يطلب المدد من النبي ﷺ أو من الولي أو أن يطلب المدد من السيد البدوي أو من الحسين مثلاً فقد وقع في الشرك الذي يخرج من ملة الإسلام ويخلده في جهنم عيادًا بالله لأنه استغاث بغير الله ودعا غير

الله إلا إذا كان ذلك الشخص جاهلاً جهلاً شديداً فقد يُعذر عند العلماء بسبب جهله وذلك بحسب حاله وعليه أن يطلب العلم فوراً ويتعلمه ليرفع عن نفسه الجهل، وعلى أي حال فلا يحكم على هذا الشخص بأنه أصبح مشركاً إلا العالم فقط كالقاضي أو المفتي وليس لأحد من عوام الناس أن يحكم عليه بذلك أبداً لخطورة أمر الشرك كما أسلفنا.

س - إذا كان هناك شخص يغرق في البحر فهل يجوز له أن يستغيث بأحد من الناس ممن على الشاطئ؟

ج - نعم يجوز له أن يستغيث بأحد من الناس ممن على الشاطئ لأن الاستغاثة بالمخلوق تجوز إذا توفر في هذا المخلوق شروط أربعة:

أولاً - أن يكون حياً فلا تجوز الاستغاثة بالميت. ثانياً - أن يكون حاضراً فلا تجوز الاستغاثة بالغائب. ثالثاً - أن يكون قادراً فلا تجوز الاستغاثة بغير القادر كالمشلول مثلاً. رابعاً - أن يكون يسمع فلا تجوز الاستغاثة بالأصم مثلاً الذي لا يسمع، فالمخلوق يجوز الاستغاثة به بهذه الشروط الأربعة وهي أن يكون حياً وحاضراً

وقادراً ويسمع ولا يجوز أن يتخلف شرط منها، فإذا توافر في المخلوق تلك الشروط الأربعة جاز الاستغاثة به مع العلم بأن الذي يغيث في الحقيقة هو الله عزَّجَلَّ وحده، فالله عزَّجَلَّ هو الذي يسبب الأسباب، فإذا أراد الله تعالى لهذا الغريق أن يغرق فسيغرق ولو اجتمع كل الناس الذين على الشاطئ لإنقاذه، ولو أراد الله له أن ينجو فسينجو ولو لم يأت أحد لإنقاذه، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يُونُسُ: ١٠٧].

س: ما السبب في عبادة القبور أو عبادة من في القبور؟

ج: لما بُنيت على القبور المساجد والأضرحة والمقامات والقباب وأقيمت حولها المزارات ظن بعض الناس من الجهال أن المدفونين فيها قد ينفعون ويضرون وأنهم يغيثون من استغاث بهم ويقضون حوائج من التجأ إليهم فمارسوا عندها أنواعاً من الشرك الذي يخرج صاحبه من ملة الإسلام ويخلده في النار إن مات عليه عياداً بالله، إلا أن يكون ذلك الشخص جاهلاً جهلاً شديداً فقد يُعذر عند العلماء بسبب جهله وعلى حسب حاله

ولكن عليه أن يطلب العلم فوراً ليرفع عن نفسه الجهل، وكما أسلفنا لا يحكم على هذا الشخص بأنه أصبح مشركاً إلا العالم فقط كالقاضي أو المفتي وليس لأحد من عوام الناس ذلك أبداً لخطورة ذلك الأمر كما ذكرنا، ومن أنواع الشرك التي تحدث عند القبور الذبح لها أو لمن فيها أو تقديم النذور لهم أو دعاء أصحابها الموتى من الأنبياء أو الأولياء أو غير ذلك للشفاعة أو للتخليص من الشدائد أو الاستغاثة بهم وطلب المدد منهم والله تعالى يقول:

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ مَعَ اللَّهِ .. ﴾ [النمل]، وبعضهم يتخذ ذكر اسم الشيخ أو الولي عاداته وديدنه إن قام أو قعد وكلما وقع في ورطة أو مصيبة أو كربة، فهذا يقول: يا محمد أو يا علي .. يا حسين .. يا بدوي .. يا جيلاني .. يا شاذلي .. يارفاعي وهذا يدعو السيدة زينب وذاك يدعو ابن علوان، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١١٤)

أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۗ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۗ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۗ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ ... ﴾ [الأعراف]، وبعضهم يطوفون بالقبور

ويستلمون أركانها ويتمسحون بها ويقبلون أعتابها ويعفرون وجوههم في تربتها ويسجدون لها إذا رأوها ويقفون أمامها خاشعين متذللين متضرعين سائلين مطالبهم وحاجتهم من شفاء مريض أو حصول ولد أو تيسير حاجة، وربما نادى أحدهم صاحب القبر: يا سيدي جئتك من بلد بعيد فلا تخيبي، والله عز وجل يقول:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴾ [الأحقاف]، وقال ﷺ في الحديث الصحيح:

«من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار» رواه البخاري، وبعضهم يخلقون رؤوسهم عند القبور، وعند بعضهم كتب بعناوين مثل (مناسك حج المشاهد) ويقصدون بالمشاهد القبور وأضرحة الأولياء، وبعضهم يعتقدون أن الأولياء يتصرفون في الكون وأنهم يضررون وينفعون والله عز وجل يقول: ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ... ﴾ [يونس: ١٠٧]، فتنبه أيها المسلم لكل ذلك واحذر منه كل الحذر فإنها هذا توحيدك ودينك.

س - ما حكم اتخاذ القبر مسجداً؟ وكيف يكون ذلك؟

ج - حذرنا النبي ﷺ من اتخاذ القبر مسجداً ونهى عن الصلاة عند القبور حيث قال الرسول ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك» وقال أيضاً: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» متفق عليه، يعني يُحذّر مما صنعوا، وقال أيضاً: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد» رواه أحمد. واتخاذ القبر مسجداً يكون بإحدى ثلاث حالات:

### الحالة الأولى - في اتخاذ القبر مسجداً:

أن يُصلي الشخص فوق القبر نفسه يعني يُصلي على القبر فيعتبر قد اتخذ القبر مسجداً لأنه صلى فوقه ولو لم يكن في مسجده فهذا لا يجوز.

### الحالة الثانية- في اتخاذ القبر مسجداً:

أن يبني المسجد فوق القبر وفي هذه الحالة لا تجوز الصلاة في داخل هذا المسجد أبداً لأنه مبني فوق القبر فهذا من اتخاذ القبور مساجد سواء كان القبر من أمام المصلين أو من خلفهم أو عن أيانهم أو عن شمائلهم فلا تجوز الصلاة فيه أبداً.

### الحالة الثالثة- في اتخاذ القبر مسجداً:

فهي أن يصلي الشخص إلى القبر يعني يجعل القبر أمامه أثناء صلاته بحيث يكون القبر بينه وبين القبلة فهذا أيضاً لا يجوز، فهذه الصور الثلاثة هي صور اتخاذ القبر مسجداً وكلها محرمة ولا تجوز للأحاديث الصحيحة السابق ذكرها ولتحذير النبي ﷺ من ذلك.

وبهذا يتضح أن تقديم النذور والقربان والذبح للقبور والمزارات شرك سببه مخالفة هدي النبي ﷺ من الحالة التي يجب أن تكون عليها القبور من عدم البناء عليها وإقامة المساجد عليها، لأنها لما بُنيت عليها القباب وأقيمت حولها المساجد والمزارات ظن

الجُهال أن المدفونين بها قد ينفعون ويضرون عيادًا بالله، وبالطبع فإن الله وحده سبحانه هو النافع الضار، أما من في القبور فهؤلاء أموات لا يملكون لأنفسهم حولاً ولا قوة بل هم في حاجة لدعاء الأحياء لهم لأنهم انقطعت أعمالهم بموتهم كما قال النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: (وذكر منها) أو ولد صالح يدعو له» فالميت بحاجة إلى دعاء الحي له.

١- فتوى لفضيلة الإمام الشيخ (حسن مأمون) شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية سابقاً يعلن بوضوح حكم زيارة الأضرحة والطواف بالمقصورة والتوسل بالأولياء: حيث سُئل فضيلته: ما حكم الشرع في زيارة أضرحة الأولياء والطواف بالمقصورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء؟

فأجاب فضيلته بما يلي: أود أن أذكر أولاً أن أصل الدعوة الإسلامية يقوم على التوحيد، والإسلام يحارب -جاهداً- كل ما يُقرب الإنسان من مزالق الشرك بالله ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق وهي رواسب جاهلية فلو

نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما نعى عليهم رسول الله ﷺ عبادتهم للأصنام قالوا له: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فهي نفس الحُجَّة التي يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله أو التقرب منه، ومن مظاهر هذه الزيارة أفعال تتنافى كليةً مع عبادات إسلامية ثابتة فالطواف في الإسلام لم يشرع إلا حول الكعبة الشريفة وكل طواف حول أي مكان آخر حرام شرعاً، والتقبيل في الإسلام لم يُسن إلا للحجر الأسود، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يقبله: «والله لولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما فعلت» أخرجه البخاري ومسلم، فتقبيل الأعتاب أو نحاس الضريح أو أي مكان به حرام قطعاً وعلى ذلك يتضح أن كل زيارة للأضرحة والطواف حولها وتقبيل المقصورة والأعتاب والتوسل بالأولياء وطلب الشفاعة منهم كل هذا حرام قطعاً ومناف للشريعة وفيه إشراك بالله.

انتهى مختصر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ (الفتوى نشرتها مجلة الإذاعة)

٢- فضيلة الإمام الشيخ (محمود شلتوت) من كبار علماء الأزهر يفتي بحرمة الصلاة في المساجد ذات القبور: حيث وُجِّه

إلى فضيلته سؤالاً مفاده: توجد في بعض المساجد أضرحة ومقابر

فما حكم إقامتها؟ وما حكم الصلاة إليها؟ والصلاة فيها؟

فأجاب رَحْمَةُ اللَّهِ فَكَانَ مِمَّا قَالَ: وما زلَّ العقل الإنساني وخرج عن فطرة التوحيد الخالص - فعبد غير الله أو أشرك معه غيره في العبادة والتقديس - إلا عن طريق هذه المشاهد التي اعتقد أن لأربابها والثاوين فيها صلة خاصة بالله، بها يقربون إليه، وبها يشفعون عنده، فعظّمها واتجه إليها واستغاث بها وأخيراً طاف وتعلّق، وفعل بين يديها كل ما يفعله أمام الله من عبادة وتقديس.

والإسلام من قواعده الإصلاحية أن يسد بين أهله ذرائع الفساد، وتطبيقاً لهذه القاعدة صحّح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ من كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك»، نهى الرسول ﷺ وشدد في النهي عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وذلك يصدق بالصلاة إليها، والصلاة فيها، وأشار الرسول ﷺ إلى أن ذلك كان سبباً في انحراف الأمم السابقة عن إخلاص العبادة لله. انتهى مختصر كلامه يرحمه الله

٣- لجنة الفتوى بالأزهر تفتي بتحريم إقامة الأضرحة وتشيد القبور:

س: تلقت لجنة الفتوى بالأزهر سؤالاً حول شخص ميت وقبره موجود في أرض بها رطوبة شديدة ويريدون نقله إلى مقام مُشيد له؟

فجاء جواب لجنة الفتوى كما يلي: اطلعت اللجنة على هذا وتفيد بأنه إذا كان الحال كما ذكر به جاز نقل هذا الميت إلى مكان آخر ولكن لا يجوز شرعاً نقله على ضريح أو قبة كما يصنعه بعض الناس لمن يعتقدون فيه الولاية والصلاح، فإنَّ هذا نهى عنه رسول الله ﷺ، فقد روى مسلم وغيره عن أبي الهياج الأسدي (حيان بن حصين) عن علي رضي الله عنه قال: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مُشرفاً إلا سَوَّيته.....» إلخ.

وجملة القول أنَّ اللجنة ترى تحريم نقل هذا الميت إلى ضريح أو قبر ذي قبة، للأحاديث التي ذكرها الشوكاني وغيره، وهي مفسدة تمس العقيدة وتخل بالإيمان الصحيح.

من كتاب (فتاوى هامة) لفتحي أمين عثمان